جميزة الدار القديمة

جميزة الدار القديمة

صفرة وجه الخريف
تأكل منى ربيع السنين
فأهرب إلى دارى القديمة
لعلِّي أجد بقايا نايٍ حزين
لأسترجع غناء السواقى
فيرحل عنى حزنٌ دفين
وينساب الماء فى القناة الصغيرة
يصهلل كخيل يسابق ريح البوار
ويهزم عطش القفار
وأرى الفجر يولد
يشق السماء نور اليقين
فيسقط الندى
على زهرة الفول
فيبدو كدمعة
عين العليل
ويطارد الصبح
ضباب الغيوم
فتهرب سريعا

كما الخائفين
ويأسر ضوء الشمس الحياة
يبدد ما بقى من ليل مديد
وأسىً عشش فى جوف الحقول
تزقزق فجأة عصافير الصباح
تمزق غبش الضباب
وتمرق فى الفضاء الوسيع
فتوجد يمامة على نافذة بيتى القديم
يصعد عمى على شجرة الجميز
بسكينه الصغير
ليختم عناقيدها
ويلقى لى
ببعض من ثمارها
أعود فرحا إلى دارنا
كأنا جمعنا ذهب الكهوف
أدينا كل فروض الحياة
وعلينا انتظار الحصاد
وأمشى بيدى بقرتنا العجوز
كعاشقين فى ساعات الغروب

وفى البيت تمسك أمى ضرعها

ستشرب دارنا لبنا

سائغا من ثديها

وأنام حتى الظهيرة

وأسبح بعدها فى النهر

حيث الصبايا الحسان

تحف أقدامها

يزين العين كحلها

وتبدو من تحت الخمار

ضفائر شعرها

تغرد للكون

آه

ما أحلى جمالها

رغمًا عنى أسترق النظر

لم تولد بعد فىَّ الرجولة

يكلل عينى خجل الطفولة

فأمضى بعيدًا بعيدًا

***

وأذهب إلى شيخي العجوز

جمل وجهه كلام الإله

غاض ماء عينيه

لكن

يرى ما خلف الجدار

ويعرف

ما وراء البحار

يرى القادم رؤيا النهار

يدق الآتى على باب قلبه

ويعرف عن الماضى تفاصيل دقيقة

فيحكى تاريخًا جَفَّتْهُ السطور

فيقص علينا عظة الدهور

ولى تقى تدثر بالتقى

وحب النبى

ويلبس قديما

ويأكل قليلا

ويحيا كسلطان الحياة

نراجع عليه ربع يس

سورة عبس والنازعات

سبح اسم ربك الأعلى

والعاديات

فيلدغنا بكفه

وتلسعنا عصاه

ونلعب بعدها حتى المساء

***

وتحت جميزة بيتنا القديم

عرفنا حكايات جميلة

روايات طويلة

وأقاصيص نذرت

نفسها لتبنى الرجال

أبا زيد وجنيات النهر

على بابا

وعروس البحور

عرفنا الأمانة

وميلاد الأمل من رحم المحال

أبطال من أساطير

اصقلت فينا هممًا

ونثرت بذور النضال

تقص علينا كيف تكون العدالة

وأن لكل ظلوم نهاية

وأن المظلوم حتما

فى يوم

ستضحك شفاهه

فنلعن دنس الكبار

وننتقد أهالينا

بصمت وهمس

ونخشى عقاب السماء

***

وتحت جميزة دارنا القديمة

ليلة كسوف القمر

ندق الطبول

اتركيه يا بنات السماء

أيتها الحور

دعيه يدور

يقول الكبار

بحزم وخوف

إن طال أسره

تبددت منا الحياة

نخاف ونهلع بربك

دعيه

يا بنات الجنان

دعيه لنا لكى

نعيش الحياة

بربك دعيه

ولا تأخذيه

بغير ذنب جناه

***

وعند الجميزة القديمة

وكل مساء

ياتي إلينا

بساق وحيدة

وعكاز من حديد

عمى شرف

ليحكى لنا

حكايات العبور

فتزرع فينا رجالًا كبارًا

بنادق

تحلم بأرض المعارك
وتصبو للحن الشهيد
ومجد الخلود
وبدا سعيدًا
وجلجل ضاحكا
و قال
قدمى هناك
ذكرى فداء
حضنتها رغمًا عنى
رمال سيناء
ودمى ذاب بماء القنال
مصمص شفتيه
وقال:
هناك ألف ساق وساق
وعين وقلب
وألف يدٍ
خطت تاريخ البقاء
ويخرج من جيبه
صورة ملاك برئ

ويبكى بحرقة

فنبكى معه

فيقسم هذا

أخى

ما أروعه

يوحنا

ابن الصليب

مات هناك

بدلا منى

مات يوحنا

ملاكًا شهيدًا

على أرض سيناء

يهلل فرحا وحق الإله

والتين والزيتون

وطور سنين

يوحنا عريس السماء

***

آه منك لحظة

مضت

ما بقت

وها أنذا شببت

لألقى الهزيمة

وجهًا لوجه

ترتع فى نواصينا الجميلة

ومن بيت لبيت

تدنس حكايتنا البريئة

بطعم الخيانة

والانفتاح البذئ

***

ياليتنى بقيت حرفا

فى حواشى القرى

وما صرت سطرا

فى متون المدينة

***

ليتنى بقيت

مغردًا

صغيرًا

ألعب

وأحبو
وأسمع
أساطير الطفولة
تحت جميزة دارى القديمة
ولم تر عينى مسخ الحياه
***
وها أنذا عدت
بعد شيب النواصى
تجعد وجهى
بقدر ضجيج الزحام
وموت السكينة
تحجر قلبى
كقطع الرخام
تشتت منى الوجود
وكدت أبصر
كل شئ فناء
توارت خجلا منى السنون
أين شيخى الأعمى البصير
أين الصبايا

ذات الضفائر السوداء

والوجه النضير

أين السواقى ذات الخرير

أين عمى شرف

وصورة يوحنا الشهيد

أين أنا

هل سرت عدمًا

فناءً

فراغًا

أين جميزتى المعطاء

بل أين

دارى القديمة ؟!!

أين دارى القديمة ؟!!

أين دارى القديمة ؟!!

الجمعة ٢٢ /٥ /٢٠١٥ الاسكندرية